استراتيجية الحجاج في القرآن الكريم
خطاب مؤمن آل فرعون نموذجًا

د. وئام مُحَمَّد سيد أحمد أنس[١]
د. منى بنت صالح مُحَمَّد الرشادة[٢]

(قدم للنشر في ٠٨/ ٠٥/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٠٧/ ٠٧/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: يدور البحث حول معالجة القرآن الكريم لقضية العقيدة، وذلك من خلال المحاورات الجدلية التي قامت بين خطابين أحدهما يمثل الإيمان والآخر الكفر، ومنها خطاب مؤمن آل فرعون إلى فرعون وملئه، الذي ارتكز على تقنية الحجاج بهدف إقناع الآخر واستمالته؛ ولذا تعددت اللقطات والمشاهد تبعًا لذلك؛ ما بين الإيهام بحيادية المخاطِب والتودد للآخر والتظاهر بمدحه ، والتمثل الزمني، واستحضار القصص والسير الذاتية، إلى مواجهة التهديد والتلويح بالعنف من الآخر/ فرعون بالاستعانة بقدرة الله عز وجل وتفويض الأمر إليه، والخطاب الوعظي. وقد تغيرت استراتيجية الحجاج حسب اختلاف السياقات وقامت على عدة آليات فنية، مثل: التوازي، والاستفهام، والتوكيد، والشرط، والنداء، والعدول، والقياس، والمقارنة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الحجاج، مراعاة السياق، التغير الاستراتيجي، الآليات الفنية.

❁❁❁❁❁

(١) أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل.
البريد الشبكي: wanas1974@hotmail.com
(٢) أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل.
البريد الشبكي: malrashada@iau.edu.sa





Strategy of the argumentation in the Holy Quran
Speech of the believer Al - Pharaoh model

Dr. Weam Mohamed Saied Ahmed Anas[1]
Dr. Mona bint Saleh Al-Rashadah[2]

(Received 03/01/2020; accepted 02/03/2020)

Abstract: The discussion revolves around the treatment of the Holy Quran for the cause of faith, through dialectical dialogues which took place between two speeches, one representing faith and the other disbelief, including the speech of the believer of Pharaoh to Pharaoh and his followers, which was based on the technique of the argumentation in order to convince the other. Therefore, the footage and scenes were varied accordingly Between imitating the impartiality of the caller and courting the other, pretending to praise him, making time, and recalling the stories and biographies, to confront the threat and waving violence from the other / Pharaoh using the power of God Almighty and delegated to him, and the preaching speech. The strategy of the argumentation has changed according to different contexts and has been based on several technical mechanisms, such as: parallelism, questioning, assertion, condition, appeal, regression, measurement and comparison.

key words: Discourse, argumentation**,** context, strategic change, technical mechanisms



(1) Associate Professor of Literature and Criticism, the department of Arabic language, College of Arts, Imam Abdul Rahman bin Faisal University.
Email: wanas1974@hotmail.com
(2) Associate Professor of Literature and Criticism, the department of Arabic language, College of Arts, Imam Abdul Rahman bin Faisal University.
Email: malrashada@iau.edu.sa





المقدمة

شغل درس الحجاج كثيرًا من الباحثين باعتباره آلية من آليات الخطاب لفهمه واستيعاب مدلولاته وتأويل علاقاته، ولاسيما الخطاب القرآني الذي مازال يُعد مجالاً خصبًا لمزيد من الدراسات، ومن أبرز هذه الدراسات الحجاج في القرآن لعبد الله صولة، حاول من خلاله مقاربة المفهوم وتعرض لبعض الإشكالات والأسئلة التي تتطلب وضع مقترحات وحلول من الباحثين، وحاول التطبيق من خلال استعراض بعض الآيات الكريمة[١]. ومن الدراسات التي تناولت خطاب مؤمن آل فرعون، دراسة بعنوان "خطاب مؤمن آل فرعون ...دراسة بلاغية تحليلية" للباحثة بدرية العثمان، وقد ركزت على تدرج الخطاب حتى تحقق الهدف من الجدل الدائر بين الطرفين، والشرح اللغوي للمقاطع التي ورد من خلالها الخطاب، واستخراج بعض الألوان البلاغية التي جاءت في سياق الحوار[٢](العثمان، ٢٠١٣).

تقع الدراسة ضمن المحاولات التي تحاول الإنصات والتدبر في كتاب الله عز وجل، لاكتشاف أسراره اللغوية والجمالية، وقد وظَّفتْ الحجاج باعتباره من أبرز أدوات الخطاب المعالِجة للمحاورات الجدلية، وأداة إجرائية محورية ترتكز عليها بنية الخطاب. وتهدف الدراسة إلى اكتشاف طبيعة الحوار الحجاجي بين مؤمن آل فرعون من جهة وفرعون وملئه من جهة أخرى، وماهية البواعث ومحركات الخطاب وكذلك استنباط الآليات الفنية التي قامت عليها المحاورة بين الطرفين. وتنطلق الدراسة من منظور "لسانيات النص" التي تقوم على محورين: أولهما وصف النص وثانيهما تحليله تحليلاً فنيًّا. تأتي الدراسة على هيئة مشاهد متتالية ومتصلة الحلقات، يسبقها تمهيد يتناول "الحجاج" من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وكذلك السياق الحجاجي لسورة غافر.

❁❁❁❁❁

(١) انظر: الحجاج في القرآن، صولة، عبد الله، مجلد ٢، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧.

(٢) انظر: خطاب مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، العثمان، بدرية. مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط (٣٥). ٢٠١٣م.

التمهيد

الدلالة اللغوية للفظة الحجاج:

حين نبحث في الدلالة اللغوية للفظة (الحجاج) نجد أنه مصدر للفعل حاج، والحجة: الدليل والبرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم. وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته. وفي الحديث:(فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذه حجة؛ قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها؛ وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك. وفي حديث الدجال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه) أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل. ومنه حديث معاوية: (فجعلت أحج خصمي أي أغلبه بالحجة)[١]. وفي التعريفات للجرجاني: «الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد»[٢].

الدلالة الاصطلاحية للفظة الحجاج:

إن مفهوم الحجاج واسع الدلالة، يصعب حصره وتحديده بدقة؛ لتشعب مجالات استعماله " إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية، والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية، والنفسانية، والخطابية المعاصرة»[٣].

وقد عرف إبراهيم مدكور في معجمه الفلسفي الحجاج: «الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله والمحاجة طريقة تقديم الحجج، والإفادة منها»[٤].

وجاء في المعجم الفلسفي لمراد وهبة أن الحجة «ما يراد به إثبات أمر أو نقضه. من هذا الوجه تكون الحجة مرادفة للاستدلال، فيقال إن الحجة هي الاستدلال باطنا وظاهرا»[٥].

وفي كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم عرف التهانوي الحجة بأنها: «مرادفة للدليل، والحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته، وهي شائعة في الكتب، والقول بعدم إفادتها الإلزام لعدم صدقها في نفس الأمر قول بلا دليل لا يعبأ به»[٦].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، ط٣، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي. ١٩٩٩م، ٥٤/٣.

(٢) كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. الإسكندرية ، مصر : دار الإيمان.٢٠٠٤، ص٧٣.

(٣) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. طروس، محمد، الدار البيضاء: دار الناشر للثقافة، ٢٠٠٥، ص٦.

(٤) المعجم الفلسفي، مدكور، إبراهيم. القاهرة: مجمع اللغة العربية- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م، ص٦٧.

(٥) وهبة، مراد، (د.م)، دار قباء للطباعة- عبده غريب، ١٩٩٨م، ص٢٧٨ المعجم الفلسفي- معجم المصطلحات الفلسفية.

(٦) كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، التهانوي، محمد علي، (د. ت)، (د. ط)، ص٦٢٢ .



وعلى هذا الأساس فالحجاج بعد من أبعاد الخطاب الإنساني، يعتمد الحجة، ويقوم على وجود طرفين بينهما تواصل خطابي، وجدال فكري، أو فرضية خلافية، أو مخاصمة وتنازع، فيقتضي الأمر بينهما استعمال الأدلة والبراهين، والتبريرات المنطقية؛ لدحض الحجة بالحجة، إما للدفاع عن فكرة معينة لإقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه وسلوكه تجاه تلك الفكرة، أو للاعتراض على قضية معينة مطروحة من الأول. «فأساس الحِجاج الارتكاز على دليل معيّن قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما»(١).

السياق الحجاجي العام لسورة غافر(المؤمن):

والخطاب القرآني اتخذ من الأساليب الحجاجية، ومن الجدل والإقناع ما يتفق مع اتجاهات الخطاب واختلاف أطرافه في سور القرآن الكريم؛ لتحقيق مقاصده في استمالة نفوس المخاطبين، والتأثير على عقولهم، وتوجيه آرائهم وسلوكهم؛ وإقناعهم، فـ (الحجاج) القرآني يعتمد أسلوب الجدل، وما يترتب عليه من تقديم البراهين وإعادة القول/ الحوار- وليس الإكراه والإجبار- القائم على التفكير العقلي، والبرهان المنطقي، والحجة لرد الرأي برأي أقوى منه، والحجة بحجة أبلغ منها، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(٢)، ولا عجب فهو تنوير وتبصير لعقول البشر بتأكيد الجديد والحق، وهزم الباطل والخرفات والأوهام القديمة في قلوبهم.

وقد جاءت سورة غافر لمعالجة المجادلين في آيات الله بالجدال السيء، والتعامي عن الحق، والمكابرة بالباطل؛ بمحاورتهم، ودعوتهم للرجوع إلى الحق، والبعد عن الباطل(٣)، وقد استعرضت سورة غافر أحوال هؤلاء المجادلين في خمسة مواضع؛ لكشف أسلوب المجادلين بالباطل، المعادين للحق عنادا ومكابرة دون دليل أو برهان.

الموضعان الأول والثاني:

جاء في صدر السورة، وفيهما يكشف عز وجل عن المجادلين في آيات الله الدالة على توحيده وصدق رسله، فما يجادل في آياته إلا الكفار، والمجادلة هنا لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل؛ وذلك لمكرهم وفساد عقولهم، وقد سبق هؤلاء الكافرين في التكذيب والمجادلة قوم نوح، وكذبت الأحزاب بعد قوم نوح، وكذب قوم عاد، وثمود، ولوط، وأصحاب مدين، وفرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتأخذه فتقتله، وقد جادل هؤلاء بما عندهم لينصروا الباطل ويزيلوا به الحق. قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾(٤).

---

(١) البيان الحجاجي وإعجاز القرآن: سورة الأنبياء نموذجًا، عيسى، عبد الحليم، ٢٠٠٦م، (د.م)، التراث العربي، ص٣٦

(٢) سورة الأنعام، الآية [١٤٩].

(٣) يُنظر المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ط٤، مركز تفسير للدراسات القرآنية ١٤٣٩هـ، ص٤٦٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع،٢٠٠٢م، ص٨٦٠، سورة غافر الآيتان [٤-٥].



ووجه الحجاج هنا برهاني يعتمد على القياس: هذه الأمم السابقة عارضت دعوات أنبيائي كما تعارضون، فأنزلت بهم عقابي.

الموضع الثالث:

جاء على لسان مؤمن آل فرعون ذاك الرجل المؤمن العاقل الحازم، الغيور على دينه – من آل فرعونقبطيا من بيت المملكة، وقيل هو ابن عم فرعون ، وهو أول من آمن بموسى ونجا معه – ولهذا سمي مؤمن آل فرعون– ولكنه يكتم إيمانه عن قومه، ويظهر موافقته لهم، حتى يراعونه بخلاف ما لو خالفهم في الظاهر–ينصح أهله من أهل مصر، مقبحا فعل قومه، وينكر عليهم شناعة عزمهم قتل موسى عليه السلام، مخاطبا لهم باستنكار ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً﴾ دون ذنب أو جرم غير أنه قال: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ولم يكن قولا مجردا عن البينات، إنما قد جاءكم بالبينات والحجج والأدلة والبراهين على صدقه أنه مرسل من ربكم، فهذا لا يوجب قتله.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(١).

فوجه البرهان في هذا الحجاج: الكاذب [في معتقده] يضر بنفسه.

الصادق [في معتقده] ينفع نفسه، كما ينفع من يأخذ بقوله.

ويكشف شرهم وشكهم وتكذيبهم من قبل ليوسف عليه السلام وقد جاءهم بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾(٢). «والرجل المؤمن من آل فرعون محام من أقدر المحامين عن قضايا الإيمان، يرق حينا ويشتد حينا ويسفر حينا ويستخفي حينا ليستغرق أطول وقت ممكن في خدمة الحقيقة وتجليتها في بيئة يبسط فرعون فيها سلطانه ويفرض عليها عنفوانه. ودفاعه الموفق، وإن كان عن رسالة موسى إلا أنه دفاع عن رسالات الله كلها»(٣).

الموضع الرابع:

الذي تكرر فيه الجدال يتجلى واضحا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٤).

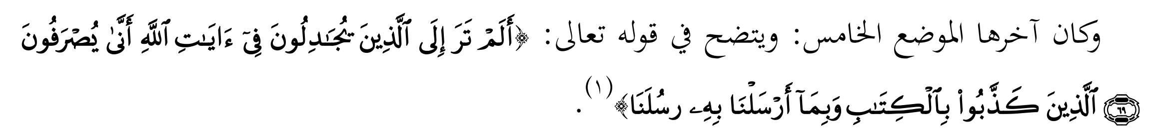
---

(١) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، مرجع سابق، ص ٨٦٦، سورة غافر، الآية [٢٨].

(٢) سورة غافر، الآية [٣٤].

(٣) تاريخ الاسترداد ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٨م القماش، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، http://www.al-eman.com. موقع من نداء الإيمان.

(٤) سورة غافر، الآية [٥٦].



وكان آخرها الموضع الخامس: ويتضح في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾(١).

آليات الحجاج في خطاب مؤمن آل فرعون:

جاء حوار مؤمن آل فرعون على هيئة مقاطع، شكَّل كل مقطع مشهدًا مثلت فيه شخصية هذا المؤمن محورًا ثابتًا في جميع المشاهد، وهو ليس من قبيل الحوار التقليدي بين طرفين، إنما جاء كردة فعل لتجاوزات فرعون وإصراره على المضي في غيه، من شخص بصره الله بالحق، غيور على دينه، انتفض عند بلوغ هذا الغي الذروة، وذلك إثر تصريح فرعون بتهديد موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾(٢).

وقد تعددت استراتيجيات الحجاج في خطاب مؤمن آل فرعون وتنوعت، لا سيما وأن الحجاج كما يرى (Moeschler et Reboul, 1994) معناه العام هو مجموعة الخطط الخطابية المستعملة من المخاطِب لإقناع جمهوره»(٣).

تصدير المشاهد بالحِجاج:

قَالَ تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾(٤).

لسنا هنا أمام حوار مباشر بين الطرفين: فرعون/ موسى، فخطاب فرعون «عطفٌ ﴿وَقَالَ﴾ بالواو يدل على أنه قال هذا القول في موطن آخر ولم يكن جواباً لقولهم: ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾(٥)، وفي هذا الأسلوب إيماء إلى أن فرعون لم يعمل بإشارة الذين قالوا: ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، وأنه سكت ولم يراجعهم بتأييد ولا إعراض، ثم رأى أن الأجدر قتل موسى دون أن يقتل الذين آمنوا معه لأن قتله أقطع لفتنتهم»(٦).وفي هذا دلالة على اشتداد وطيس المعركة الكلامية بين الحق والباطل؛ لأن الحوار يتسم بسمات حضارية وفيه من الهدوء والسكينة ما يفسح المجال للموضوعية.

وأما خطاب موسى فهو حكاية كلام صدر منه «في غير حضرة فرعون لا محالة، لأن موسى لم يكن ممن يضمه ملأ استشارة فرعون حين قال لقومه: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾، ولكن موسى لما بلغه ما قاله فرعون

---

(١) سورة غافر، الآيتان [٦٩-٧٠].

(٢) سورة غافر، الآية [٢٦].

(٣) ورد في تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، الناجح، عز الدين، منوبة: مركز الناشر الجامعي، ٢٠١٥، ص٢٦.

(٤) سورة غافر، الآيتان [٢٦-٢٧].

(٥) سورة غافر، الآية [٢٥].

(٦) التحرير والتنوير، عاشور، مُحَمَّد الطاهر، تونس: الدار التونسية للنشر،١٩٨٤م، ٢٤ /١٢٤.



في ملئه قال موسى في قومه: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾، ولذلك حكِيَ فعل قوله معطوفاً بالواو لأن ذلك القول لم يقع في محاورة مع مقال فرعون بخلاف الأقوال المحكية في سورة [الشعراء١٨، ٣١] من قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾. وقوله: ﴿عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ خطاب لقومه من بني إسرائيل تطميناً لهم وتسكيناً لإشفاقهم عليه من بطش فرعون»[1].

وإذا تأملنا الموقفين وجدنا بينهما توازيًا – مع اختلاف التوجهات– كالآتي:

فرعون	موسى
وقال فرعون	وقال موسى
ذروني	إني عُذتُ
وليدع ربه	من كل مُتكبر

فكلاهما قد سلك مسلك القول متخذا منه مطية لتعبئة أتباعه وأنصاره ضد الآخر/ الخصم، وكلاهما قد اختار سلاحه لمحاربة خصمه والقضاء عليه؛ ففرعون اختار الفعل، بينما اختار موسى – عليه السلام- اللجوء إلى الله تعالى والاستعانة به على مقاومة بطش فرعون وجبروته. ومن ثَم كان لا بد أن يتسم موقفهما باللامبالاة فالأول لا يعبأ بسلاح موسى/ الدعاء، والثاني لا يعبأ بسلاح الأول/ الكبرياء.

إنه بالرغم من أن هذا الحجاج لم يتم من خلال المواجهة المباشرة بين الطرفين- فمكان الخطابين ليس واحدًا ولم يدر هذا الحوار الضمني في مجلس واحد- فإنه يبدو كما لو كان خطابًا مضادًا الثاني/ خطاب موسى ردًّا على الأول، بيد أن ذلك لم يثبت في كتب التفاسير.

ولا شك في أن هذا التصدير الحجاجي قد ألقى بظلاله على مشاهد الحجاج التي كان بطلها المحوري مؤمن آل فرعون، فمثَّل المهاد والمبرر لانبثاق تلك المحاورات التي جاءت على شكل سلسلة من المشاهد السردية.

١– المشهد الأول:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2].

١–١ الاستفهام:

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾: جاء الاستفهام بالهمزة لأنها تُعد أم باب الاستفهام، وهي الأداة التي لا تستعمل في غيره، وإن كان بقية أدوات الاستفهام قد تضمنت معنى الاستفهام فهو عارض فيها

(١) المرجع نفسه ٢٤/ ١٢٦.
(٢) سورة غافر، الآية [٢٨].

مُستفاد من همزة مقدرة معها. وإذا ما كانت الهمزة تختص باستعمالها في غير معنى الاستفهام فتخرج إلى معان أخرى كالتسوية والتقرير والتوبيخ، وأن سائر الأدوات لا ترد لشيء من ذلك ؛ ولذا أفادت الهمزة في ﴿أَتَقْتُلُونَ﴾ الاستنكار لعزمهم قتل موسى لمجرد اتخاذه الله عز وجل ربًّا وإلهًا، وإذا ما كانت تخوض في التفاصيل بعكس بقية الأدوات التي تؤثر الاختصار والتركيز[(١)]. فربما يفسر لنا ذلك إيثار استخدام التعبير القرآني للهمزة دون غيرها من أدوات الاستفهام. «إن الغاية من كل استفهام سواء أكان حقيقيًّا أم غير حقيقي تتمثل – حسب – Ducrot et Anscombre, p. 30في أن نفرض على المخاطَب به إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عن ذلك الاستفهام، فيتم بذلك توجيه دفة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد»[(٢)].

إن الاستفهام هنا في حد ذاته عدول عن أسلوب النهي المباشر: (لا تقتلوا) الذي وإن كان إنشائيًّا مثله، فإن الأول يتيح للمخاطَب مساحة من التفكير ليتحقق الإقناع والإفحام معًا. فقد أراد المؤمن بقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ إلى آخره «أن يسعى لحفظ موسى من القتل بفتح باب المجادلة في شأنه لتشكيك فرعون في تكذيبه بموسى»[(٣)]. ولم يكتف بذلك بل عضده بالاستدراج في قوله: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ فهو «استدراج لهم إلى الاعتراف به– الله عز وجل– وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم»[(٤)].

١–٢ التوكيد:

﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ارتكز الخطاب هنا على التوكيد، ولا سيما أن فرعون وقومه لا يصدقون موسى ورسالته، وهذا يدل على وعي مؤمن آل فرعون بحال المخاطبين فهم ينكرون دعوة موسى ويصدون عن سبيل الله إعراضًا وكبرًا، وقد خشي المخاطِبُ إنكارَ المخاطَبين خاصة وأن مسألة البينات تُعد مستندًا مهمًا وخطوة حيوية في طريق إقناع فرعون وملئه، فقوله إذن يُعد «ارتقاء في الحِجاج بعد أن استأنس في خطاب قومه بالكلام الموجَّه فارتقى إلى التصريح بتصديق موسى بعلة أنه جاء بالبينات، أي الحجج الواضحة بصدقه، وإلى التصريح بأن الذي سماه الله في قوله: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ﴾ هو رب المخاطبين فقال: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾»[(٥)]. ولذا كان لا بد من زيادة الحمولة الدلالية ببنية الخطاب من خلال استخدام قد+ الفعل الماضي= التحقيق.

(١) حسن، ستار فليح. مجلة الفتح (العدد ٢٤)، ٢٠٠٥، ص ١٣،٢،١.. يُنظر همزة الاستفهام وخصائصها.
(٢) ورد في الحجاج في القرآن ٢/ ٤٢٧.
(٣) التحرير والتنوير ٢٤ /١٢٨.
(٤) تفسير الكشاف، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، بيروت، لبنان: دار المعرفة، ٢٠٠٩م، ٣/٩٥٥.
(٥) التحرير والتنوير ٢٤ /١٢٩.



يأتي التركيب القرآني منتجًا مفهومًا دلاليًّا يهدم تلك النظرية في صيغة من قبيل «ليس ق (القضية) بـ ص (صادقة)». ونعني بالنظرية القائمة مجمل الأفكار والآراء والمكونات العقدية التي تشكل عالم خطاب الخصوم المخاطبين بالكلام القرآني أو المتحدَّث عنهم فيه(١).

فهو يؤكد أن موسى جاء ومعه الأدلة والعلامات الواضحة على وجود الله؛ وبالتالي فهذا يهدم نظرية فرعون وقومه التي تزعم أنه هناك آلهة تُعبد من دون الله.

١-٣ الشرط:

قال الله تعالى: ﴿**وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾(٢).

إنَّ النجاعة الحجاجية "لما يمكن أن يكون" قد برهن عليها هذا القسم من الآيات بالشرط: بنية نحوية تفضي إلى الاحتمال بين الخبر والإنشاء، والحقيقة أن قيام البنية الشرطية كبرزخ بين ما هو كائن متواضع عليه وما يمكن أن يكون، هو ما يعطي للملافيظ في النص درجة من السلم الحجاجي(٣). إنه خروج من دائرة الزمان، بغرض تقليب الأمور، وطرح جميع الإمكانات أمام القوم؛ وذلك ليضعهم أمام الأمر الواقع فلا يستطيعون حيلة، ولا يملكون فكاكًا غير التسليم بصحة حجته. وقد ساعد على علو النبرة الحجاجية تلك المداراة التي ارتكز عليها المؤمن في شرطه، فقد جاء كضرب «من إيهام الشك في صدق موسى؛ ليكون كلامه مشتملاً على احتمالي تصديق وتكذيب يتداولهما في كلامه فلا يؤخذ عليه أنه مُصدق لموسى، بل يُخيل إليهم أنه في حالة نظر وتأمل؛ ليسوق فرعون وملأه إلى أدلة صدق موسى بوجه لا يثير نفورهم»(٤).

وقد عضد هذه الحجة بالتوكيد بـ﴿**إِنَّ**﴾ في قوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾. «فيحتمل أنه إن كان مسرفًا كذابًا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه، وأنه لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله للنبوة ولَمَا عضده الله بالبينات»(٥). إن التوكيد في الآية الكريمة إذ يصرح بنظرية القرآن منطوقًا، يفتح باب الضمني مفهومًا، موجهًا الحوار الوجهة التي يريدها القرآن بواسطة أداة الربط "إذن"(٦). ولذا فنستطيع أن نستنتج من خلال التوكيد في الآية السابقة، فنقول: إذن موسى عليه السلام صادق في نبوته ورسالته، وعلى هدى من ربه.

---

(١) يُنظر الحجاج في القرآن٢/٧٢٠.

(٢) سورة غافر، الآية [٢٨].

(٣) يُنظر تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص ١٨٠.

(٤) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٣٠.

(٥) تفسير الكشاف ٣/ ٩٥٥.

(٦) يُنظر الحجاج في القرآن٢/٧٢٣.



٢- المشهد الثاني:

قال الله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾(١).

وفي هذه العبارات من دفاع مؤمن آل فرعون عن موسى عليه السلام وما يدعو إليه عدة ركائز أسلوبية، ومنطقية، نوضحها فيما يأتي:

٢-١ النداء:

«لما توسم نهوضَ حجتِه بينهم وأنها داخلت نفوسهم، أَمِن بأسهم، وانتهز فرصة انكسار قلوبهم، فصارحهم بمقصوده من الإيمان بموسى على سَنَن الخطباء وأهل الجدل بعد تقرير المقدمات والحجج أن يهجموا على الغرض المقصود، فوعظهم بهذه الموعظة. وأدخل قومه في الخطاب فناداهم ليستهويهم إلى تعضيده أمام فرعون فلا يجدَ فرعون بُدّاً من الانصياع إلى اتفاقهم وتظاهرهم، وأيضاً فإن تشريك قومه في الموعظة أدخل في باب النصيحة فابتدأ بنصح فرعون لأنه الذي بيده الأمر والنهي، وثنّى بنصيحة الحاضرين من قومه تحذيراً لهم من مصائبَ تصيبهم من جراء امتثالهم أمر فرعون بقتل موسى فإن ذلك يهمهم كما يهمّ فرعون. وهذا الترتيب في إسداء النصيحة نظير الترتيب في قول النبي ﷺ: **(ولأئمَّةِ المسلمين وعامتهم)** ولا يخفى ما في ندائهم بعنوان أنهم قومه من الاستصغاء لنصحه وترقيق قلوبهم لقوله»(٢)، وأنه لا يزال ينتسب إلى جملتهم.

إن اختيار المؤمن لآلية النداء في هذا المشهد، بعد الاستنكار الذي حققته آلية الاستفهام في المشهد السابق، يُعد استراتيجية في تنوع الخطاب لإحداث التوازن وإصابة الهدف وهو إقناع المخاطبين واستمالتهم، وربما عُدَّ النداءُ مدخلاً لاختيار مفردات تناسب هذا التنوع وتسهم في تحقيق ذلك التوازن الحجاجي، وكذلك مهادًا للنظام النحوي الذي جاءت عليه الآية الكريمة (النداء: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ - التقديم والتأخير: ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ - الظرف: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ - الحال: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾).

إن أداة النداء "يا" لم تأت لمجرد طلب إقبال المنادى/ القوم، على المنادي/ المؤمن، إنما هو فعل إنجازي، فهو «فعل ينجز حينما نقول شيئًا ما، وهذا الفعل لا يتحقق عن طريق التلفظ بالجملة، وإنما المراد بالفعل هنا إنجاز، أي إنجاز المتلفظ به أمرًا»(٣). ولذا جاء في تفسير الكشاف أن مقصد النداء «ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم»(٤). ولا شك أن الاستفهام: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ الذي أفاد النفي، قد عضد آلية النداء، من خلال الارتكاز على الثنائية الضدية: لكم الملك/ بأس الله، فقد

(١) سورة غافر، الآية [٢٩].

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٣١.

(٣) استراتيجية الخطاب الحجاجي - دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية، دفة، بلقاسم، مجلة المخبر، العدد (١٠)، ٢٠١٤م، ٤٩٤.

(٤) تفسير الكشاف ٣/ ٩٥٥.

جمع في حجاجه بين التسكين والترويع، بين الإعلاء من شأن قومه وذكر مجدهم من جهة والتلويح بانهدام هذا المجد من جهة أخرى. ولعل جمالية الاستفهام تأتي من أنه يُعد عدولاً عن النفي «وإن أبلغ الحجج وأشدها إلزامًا للخصم، وأكثرها إفحامًا له ما نطق بها هو نفسه وأسهم في صنعها، من خلال إجابته عن الاستفهام الموجه إليه، فعلى هذا يبدو الاستفهام أبلغ حجاجًا من مجرد النفي»(١).

٢-٢ مقاطعة فرعون:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾(٢).

تفطن فرعون إلى أنه المعرَّض به في خطاب الرجل المؤمن من قومه، فقاطعه كلامَه وبيَّن سبب عزمه على قتل موسى عليه السلام بأنه ما عرض عليهم ذلك إلا لأنه لا يرى نفعاً إلا في قتل موسى ولا يستصوب غير ذلك ويرى ذلك هو سبيل الرشاد، وكأنه أراد ألا يترك لنصيحة مؤمنهم مدخلاً إلى نفوس مَلَئِه خيفة أن يتأثرُوا بنصحه فلا يساعدوا فرعون على قتل موسى. والسبيل مستعار للعمل، وإضافته إلى الرشاد قرينة، أي ما أهديكم وأشير عليكم إلا بعمل في رشاد. وكأنه يعرّض بأن كلام مؤمنهم سفاهة رأي(٣). ولذا جاء ادعاء فرعون مدَّعمًا بأنجع وسائل التوكيد الفنية وأقواها ألا وهي "القصر" من خلال أداتي "ما" للنفي و"إلا" للاستثناء، «ويفيد معناه مبالغة في قصر الصفة على الموصوف ، وادعائها له واختصاصها به دون غيره من الناس أو الكائنات التي يُحتمل أن تتصف بها هي أيضًا أو توصف بها»(٤). وقد راعى فرعون التدرج والترتيب في حجاجه إذ جاءت العبارة الأولى "مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أرى" مجرد تصورات ذهنية، بينما الثانية وصف لهذه التصورات، وهي نتيجة لما سبق من امتلاك هذه الرؤى، والآية في مجملها قد اتسمت بالعمومية وكانت دليلاً على إفحام فرعون وعجزه عن امتلاك الحجة.

٣- المشهد الثالث:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(٥).

وفي هذا الخطاب الموجه إلى من يفترض فيهم خلو الذهن من الاعتزاء بأحد القولين المتعارضين: قول المؤمن من آل فرعون، وقول فرعون نفسه، تظهر آليات الأسلوب الحجاجي في الآتي:

---

(١) الحجاج في القرآن٢/٤٢٩.
(٢) سورة غافر، الآيتان [٢٩-٣٠].
(٣) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٤ /١٣٣.
(٤) الحجاج في القرآن٢/٢٧٥.
(٥) سورة غافر، الآيتان [٣٠-٣٣].





٣-١ التمثل الزمني:

جاء حجاج المؤمن في هذه المشهد متعلقًا بما سبق في المشهد السابق؛ حيث إنه لما ذكر "بأس الله" جاء الفعل أخاف في هذا المشهد مكررًا مرتين، وفي ذلك دلالة على حرصه وحدبه وغيرته على دعوة الله عز وجل، وربما يعود اختيار الفعل "أخاف" لأنه من الأفعال القلبية التي ظاهرها التودد والإشفاق، لكنها تحمل دلالات التخويف والترهيب من عذاب الله وانتقامه في الدنيا والآخرة.

وقد دار تمثل الزمن بين دائرتي استحضار الماضي (التاريخ)، واستشراف المستقبل (يوم القيامة). وجاءت التفاصيل في الدائرة الأولى: الهلاك الذي أصاب الأقوام (نوح- عاد- ثمود- الذين من بعدهم) وذلك بغرض دعوتهم إلى إقامة مقارنة بين الحالين: الأقوام السابقة/ قوم فرعون.

والحق أن القرآن قد تميز في تعرضه للتاريخ، من جهة تقديم هذه الأخبار أو القصص لا على أنها حجة تاريخية فقط، بل على أنها حجة فنية فيها إفادة وإمتاع في آن، غير معزولة عن غيرها من أخبار العرب والمسلمين، فكانت بمثابة الحجج المتعاضدة التي يرمز بعضها إلى بعض وهو ما انتهى إليه ريجيس بلاشير (Blachere, 1959) بقوله: «إن القرآن في كل ما أورده من قصص وأخبار متكررة لم يكن خارجًا عن حدود الحجاج والإقناع»[(١)].

بينما جاءت التفاصيل في الثانية إمعانًا في الترهيب من يوم الحساب "يوم التناد"، على هيئة تصوير حركي لمشهدهم وهم يفرون في محاولة للفكاك من عذاب جهنم، وقد أفسح البدل في "يوم" المجال لاشتغال تقنية السرد الذي لم يقتصر على وصفهم من الخارج إنما عكس شعورهم الداخلي بالهلع والندم على تكبرهم وإعراضهم عن الحق، وقد عضد ذلك استخدام النفي في: ﴿**مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾ من خلال أداة النفي (ما) التي تفيد النفي المطلق مما يزيد المشهد صعوبة ويمارس ضغطًا على قومه، وكذلك الشرط في: ﴿**وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ**﴾. فهذا تعقيب من الله عز وجل ربما ليقر هذه الحقيقة في النفوس فتزداد الفئة المؤمنة إيمانًا وثقة في معالم الطريق إلى الله، وليحذر الفئة الطاغية بأن طريق الهداية واحد هو طريقه عز وجل، وكذلك فإن المخول إليه تحديده هو من خلق الخلق فهو أعلم بهم من أنفسهم ومن غيرهم.

٤ – المشهد الرابع:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾[(٢)].

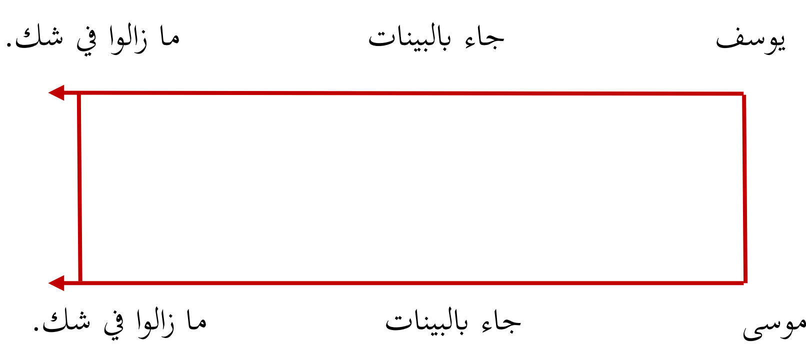
---

(١) المصفار، محمود، صفاقس: شركة المنى، (د. ت) ص ٩٥. سيميائية القرآن بين الحجاج والإقناع.

(٢) سورة غافر، الآية [٣٤].



٤-١ القياس:



يأتي هذا المشهد امتدادًا وتعميقًا للمشهد السابق، فاستحضار شخصية النبي يوسف عليه السلام بقدر ما هي امتداد للتمثل الزمني التاريخي بقدر ماهي إمعان في التحديد والحصر، وذلك لقياس الواقع الحالي/ تكذيب فرعون لموسى ورسالته رغم وضوح البينات والدلائل على صحة دعوته، على الواقع التاريخي/ الشك في نبوته، والاكتفاء بما يعود عليهم من نفع دنيوي زائل، والزهد فيما يحمل من معالم طريق الحق والرشاد(١).

استخدم القرآن الكريم القياس بهدف المقارنة بين الحالين: حال موسى مع فرعون وقومه من جهة، وحال يوسف وأهل مصر من جهة أخرى (سلف قوم فرعون)، وذلك من خلال توظيف الشاهد/ يوسف عليه السلام. "وتقتضي المحاجة بواسطة الشاهد وجود اختلاف حول موضوع القاعدة الخاصة التي استدعاها الشاهد لتأسيسها، وهي تفترض وجود اتفاق سابق حول إمكان التعميم انطلاقًا من الحالات الخاصة" ٢. ولذا فإن الشاهد هنا يؤسس لقاعدة مؤداها: أن هذا السلوك الذي تتبعونه مع موسى ليس بغريب عليكم فقد ورثتموه عن أسلافكم، فالتكذيب له سابقة عندكم، وهذه لا شك حجة دامغة تثبت أنهم تقليديون يستسلمون للموروث عن أجدادهم. وقد أكد ذلك تذييل الآية الكريمة: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، فما هم عليه بسبب تجاوزهم المألوف والمعتدل، وشكهم رغم وضوح الدلائل القوية.

٥- المشهد الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٣).

وهذه درجة متقدمة شديدة اللهجة وذلك لما تبين من خلال القياس أن هذا التكذيب وذلك الضلال كامن في طبعهم، وورثوه عن آبائهم، وبعيدًا عن الخوض في الخلاف بين المفسرين في نسبة هذا المقطع من

(١) يُنظر التحرير والتنوير ٢٤/ ١٣٩.

(٢) الحجاج الخَطابي أسسه وتقنياته، كحولي، مُحَّد الناصر، تونس: دار زينب للنشر والتوزيع، ٢٠١٧، ص١٥٦.

(٣) سورة غافر، الآية [٣٥].



الآيات هل جاءت على لسان مؤمن آل فرعون أم هي من كلام الله عز وجل؟ وإن كنت أرجح نسبتها إلى مؤمن آل فرعون لما فيها من تدرج في الخطاب وتصعيد منطقي متسق وسياق الحوار الحجاجي.

الغرض فيما يبدو من هذا المقطع هو إدانتهم وإبراز نقائصهم وإحراجهم أمام أنفسهم لعلهم يعملون الفكر ويشحذون الذهن فيتبينوا الصواب من الخطأ والهدى من الضلال.

«والمجادلة تكرير الاحتجاج لإثبات مطلوب المجادل، وإبطال مطلوب من يخالفه، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، فمن المجادلة في آيات الله المحاجة لإبطال دلالتها، ومنها المكابرة فيها كما قالوا: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[2]... والمعنى أنهم يجادلون بما ليس بحجة، ولكن باللجاج والاستهزاء»[3].

وكأن المؤمن قد وضع يده على السبب الرئيس لإضلال الله عز وجل لفرعون وقومه، وهو التمادي في الجدال واللجاجة دون امتلاك حجة قوية أو بينة واضحة على خيارهم/ التكذيب والضلال والكبر، وكذلك فهو يقارن بين حجاجه من جهة وحجاجهم من جهة أخرى؛ فبينما حججه تأتي منطقية متدرجة ومستندة إلى التاريخ والواقع والفطرة، نجد حججهم لا تستند على دلائل ولا شواهد عقلية، إنما يعتمدون قوة الأمر الواقع والاعتراف بميراث الأسلاف.

٦- المشهد السادس:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾[4].

بغض النظر عن رأي ابن عاشور من أن «هذه مقالة أخرى لفرعون في مجلس آخر غير المجلس الذي حاجَّ فيه موسى؛ ولذلك عطف قوله بالواو»[5]. فإن الفعل في حد ذاته "قال" الذي من معينماته الضمنية: الرد على الخصم، التوصيل، الإبلاغ، والحجاج في صلبه طلب صريح أو ضمني بتسليم المتقبل. ولعل حيثيات القول أو وضعيات التلفظ كما يسميها التداوليون اليوم تساعدنا على إدراك كنه الملفوظ الحجاجي[6]. فإنه «لما قال مؤمن آل فرعون ما قال، وخاف فرعون أن يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب

(١) سورة النحل، الآية [١٢٥].

(٢) سورة فصلت، الآية [٥].

(٣) يُنظر التحرير والتنوير ٢٤/ ١٤٢.

(٤) سورة غافر، الآية [٣٦-٣٧].

(٥) يُنظر التحرير والتنوير ٢٤/ ١٤٥.

(٦) يُنظر تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، ص ٣٢.

القوم، أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإن بان له صوابه لم يخْفه عنهم، وإن لم يصح ثبَّتهم على دينهم؛ فأمر وزيره ببناء الصرح»[١].

إنه مما لا شك فيه أن ما سبق يدل على أن حجج مؤمن آل فرعون تصاعدت وتيرتها حتى بلغت الذروة في الاستناد إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية، لدرجة جعلت فرعون يلجأ إلى إيهام قومه أنه سيثبت لهم من خلال الدلائل الحسية والمشاهدات الواقعية بطلان ما جاء به موسى عليه السلام.

وإن كان ابن عاشور زاد على ذلك افتراضًا قد يعضد زعمنا من تمكن حجج المؤمن من عقول القوم ورسوخها، وهو أن فرعون قد يكون أمر ببناء هذا الصرح رغبة في أن يخلو بنفسه رياضةً ليستمد بنفسه الوحي من إله موسى، لا سيما أن ذلك كان من شعار الاستيحاء الكهنوتي عندهم، وكذلك ما كان يدعيه فرعون من أنه ابن الآلهة، فأراد في هذه الأزمة الجدلية أن يتصدى لذلك بنفسه ليكون قوله الفصل في نفي وجود إله آخر، وبذلك يكون قد تولى وسائل النفي بنفسه[٢].

وقد صنع الفعل الحجاجي "قال" امتدادًا في الملفوظ فلم يتوقف عند مجرد القرار الذي اتخذه فرعون ليلبس على الحاضرين "بناء الصرح" بل امتد ليشمل مراجعة الباث/ صاحب القول لقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَـٰذِبًا﴾ حتى وإن كانت هذه الجملة اعتراضية؛ فإنها كما يرى ابن عاشور «جاءت للاحتراس من أن يظن (هامان) وقومه أن دعوة موسى أوهنت منه يقينه بدينه وآلهته، وأنه يروم أن يبحث بحث متأمل ناظر في أدلة المعرفة فحقق لهم أنه ما أراد بذلك إلا ما ادَّعاه موسى بدليل الحس، وجيء بحرف التوكيد المعزز بلام الابتداء لينفي عن نفسه اتهام وزيره إياه بتزلزل اعتقاده في دينه ... والظن هنا مستعمل في معنى اليقين والقطع، ولذا سمَّى الله عزمه هذا كيدًا في قوله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾»[٣].

فهل كان فرعون جادًّا في قراره وزعمه؟ فيكون بذلك قد جارى المؤمن في محاورته أو نجح في تحديه وإحراجه بهذا التصريح العملي – من وجهة نظره- إنه إذا أردنا أن نجيب على هذا التساؤل علينا أن نتأمل في الملفوظ الحجاجي فنجد: ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ التي ليست نصًّا قاطعًا ولا إصرارًا صادقًا في التنفيذ فهي تفيد الرجاء فقط، ونجد "الأسباب" وهي «جمع سبب، والسبب ما يوصل إلى مكان بعيد»[٤]. فليست هي السماوات نفسها، ولكي تكتمل المراوغة فنجده يذكر هذه الإضافة: ﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ وإذا عرفنا أنه قد «جيء بهذا الأسلوب من الإجمال ثم التفصيل للتشويق إلى المراد بالأسباب تفخيمًا لشأنها»[٥]. فربما استنتجنا أن يكون الهدف من ذلك هو جذب أنظار الحاضرين وتغطية عجزه عن رد محاجة المؤمن ومجاراته.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، شمس الدين، دار عالم الكتب، (د.ت)، ١٥/٣١٤.

(٢) يُنظر التحرير والتنوير ٢٤/ ١٤٥.

(٣) المرجع نفسه ٢٤/ ١٤٧.

(٤) نفسه ٢٤/ ١٤٦.

(٥) نفسه ٢٤/ ١٤٦.





٧- المشهد السابع:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[(١)].

تغيرت استراتيجية الخطاب بعد تصعيد فرعون لنبرة الحجاج، وكأنه لم يأبه لحوار مؤمن آل فرعون ولم يتأثر به، وكأن هذا المؤمن وجد صدودًا في الطرف الآخر وإعراضًا وذهب حواره دون جدوى فشرع في تغيير الاستراتيجية.

تصور هذه المقاطع مدى إدراك المؤمن لمتطلبات الخطاب ومتغيراته، فيبدو أنه لما لم تحقق آليات الخطاب التي استشرف نجاعتها الغرض منها، استخدم المباشرة في التعبير ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ وهو نوع من أنواع المواجهة التعبيرية التي تعزم على الاتجاه صوب الهدف مباشرة.

وقد رتَّب المؤمن خطبته على أسلوب تقديم الإجمال ثم تعقيبه بالتفصيل، وسبيل الرشاد مجمل وهو على إجماله مما تتوق إليه النفوس، فربطُ حصوله باتباعهم إياه مما يقبل بهم على تلقي ما يفسِّر هذا السبيل، ويسترعي أسماعهم إلى ما يقوله إذ لعله سيأتيهم بما ترغبه أنفسهم. ثم أكمل مقدمته بتفصيل ما أجمله يذكرهم بأن الحياة الدنيا محدودة بأجل غير طويل، وأن وراءها حياة أبدية؛ لأنه علم أن أشد دفاعهم عن دينهم منبعث عن محبة السيادة والرفاهية، وذلك من متاع الدنيا الزائل، وأن الخير لهم هو العمل للسعادة الأبدية، وقد بنى هذه المقدمة على ما كانوا عليه من معرفة أن وراء هذه الحياة حياة أبدية فيها حقيقة السعادة والشقاء[(٢)].

النداء: ولا شك أن تكراره للنداء في ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ في هذا المقطع خاصة دلالته حشد طاقة المحاور اللغوية الحجاجية لاستمالة قومه من جهة وإقناعهم من جهة أخرى.

المؤكدات: من خلال أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ واستخدمت خصيصًا في هذا السياق لأن التركيز هنا على الدنيا موطن التسلط من فرعون ومؤيديه، وبعد استخدام الحصر مع الدنيا في أنها متاع، صار مفهومًا أن الآخرة عكس ذلك؛ ولذا لم يعد هناك حاجة للحصر، لكن اكتفى التعبير القرآني بالتأكيد بـ(إنَّ).

الشرط: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾، ويأتي مندرجًا ضمن المواجهة والتعبير الدائري الذي رام المؤمن حصارهم داخله فكأنهم لا يوجد لهم مخرج سوى اتباع موسى عليه السلام والإيمان بربه ورب الكون كله،

(١) سورة غافر، الآية [٣٨-٤٠].

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٤٩.



ولعل تقديم السيئة على الحسنة في عبارتي الشرط يأتي متَّسقًا مع السياق الذي رأينا من خلاله إصرار فرعون وملئه على تكذيب موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

﴿فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم، وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل[1].﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وفي جواب الشرط عدول صريح عن التعبير بالجملة الفعلية إلى التعبير بالجملة الاسمية: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ.﴾ ووجه الحجاج في هذا العدول الصريح واضح من خلال ما يفيده التعبير بالجملة الاسمية من إلحاح على المعنى، ومبالغة فيه، وتأكيده تأكيدًا لا يكون بواسطة الجملة الفعلية. إن الجملة الاسمية لها من الخصائص ما يؤهلها للتعبير عن الحقائق العامة والمبادئ القارة، ويفسر استعمالها للاحتجاج وتقديم الأدلة[2].

لعل المحاور باستخدامه الشرط أراد حسم المسألة، وتلخيص الوجود في مساري: الخير/ الشر، وجاء ذكر جملة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تذكيرًا بقضية الإيمان وأنها القضية المحورية وموضوع الحجاج وأساس الخلاف بين الطرفين: مؤمن آل فرعون/ فرعون وملئه.

٨- المشهد الثامن:

قال الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[3].

فيما يبدو للوهلة الأولى أن المؤمن لم يعد لديه أي تحفظ في خطابه؛ وذلك لأنه لم يجد استجابة إيجابية من الطرف الآخر، فالنتيجة التواصلية تساوي صفرًا ؛ ولذا فقد اضطر المؤمن مباشرة إلى تصعيد إيقاع الخطاب وهو يُعد تصعيدًا نهائيًّا حيث لم يعد في خطته مزيد من الحمولات الدلالية ولا من الإرساليات الإقناعية، وذلك ليس لاستنفاد آليات الخطاب وإنما لإصرار الطرف الآخر على الخروج عن قواعد الخطاب الحجاجي وتقنياته وذلك من خلال عدم التوازي في تبادل الحجج العقلية ولا الأدلة المنطقية، إضافة إلى التمادي في المهاترات والهروب من ميدان الحجاج عند خلو الجعبة من سهام الحجج والبراهين الدفاعية أو الهجومية.

---

(١) تفسير الكشاف ٣/ ٩٥٧.

(٢) الحجاج في القرآن٢/٤٤١.

(٣) سورة غافر، الآية [٤١-٤٣].

ارتكز المؤمن على أسلوب المقارنة:

﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ/ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ/ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ/ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

وقد قام على عدة أدوات، أهمها:

- صيغة ﴿مَا لِىٓ﴾: وهي «استفهام تعجبي باعتبار تقييده بجملة الحال وهي ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾»(١).

- تبادل الضمائر: وذلك من خلال "كاف الخطاب" ← "ياء المتكلم".

"ياء المتكلم" ← "كاف الخطاب".

وفي ذلك دلالة على مبادرته بدعوة القوم إلى توحيد الله وإلى الحق، وفي ذلك ما يدل على حرصه وحدبه على هدايتهم ومدى رغبته في تحقيق المصلحة لهم سواء الدنيوية أو الأخروية. وكذلك برزت المفارقة بين ما يدعوهم إليه وما يدعونه إليه.

- ﴿لَا جَرَمَ﴾: «سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردًّا لما دعاه إليه قومه، وجرم فعل بمعنى حق، وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته»(٢).

وهو تأكيد للأساس الواهي لدعوتهم ولمزاعمهم في مقابل الأساس القوي المتين لدعوة الله عز وجل فالمرجعية في الأولى/ لا شيء، بينما في الثانية/ العقيدة الصحيحة الراسخة.

- لفظ: (الدعوة): صرح المؤمن في هذا المقطع بلفظ الدعوة، بعدما اكتفى في المقاطع السابقة ببيان معالمها وتوضيح مبادئها، بل إنه كررها أربع مرات؛ لأنها عنوان هذه المحاجة وهي الأصل الذي دار عليه ذلك الحوار، فهي وظيفة الأنبياء والرسل وديدن الصالحين في كل زمان ومكان. وبما أنه ينهي هذه المحاورة فقد رغب في إبراز منطلقها ومثيرها.

٩- المشهد الختامي:

قال الله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٣).

لون من ألوان الإثبات الأخير الذي يعلق في أذهان الخصم، إثبات يقوم على رهان الذاكرة والتحقق المستقبلي للمعطيات البرهانية، ثم يأتي التفويض إلى الله سبحانه بعد اجتهاد المؤمن في محاولة الإتيان بالأدلة

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٥٢.

(٢) تفسير الكشاف ٣/ ٩٥٨.

(٣) سورة غافر، الآية [٤٤].



الدامغة التي تثبت اعتقاده بصحة دعوى موسى عليه السلام، وبذل الجهد لإنجاح تلك المحاجة المتنوعة الوسائل والأدوات الفنية، وذلك كمكملات لركني التوكل عليه سبحانه.

وإن كان بعض المفسرين قد رأى السبب في تلك المقولة أنهم قد توعدوه(١). فهذا لا ينافي ذاك فهو منذ أن بدأ تلك المحاورة كان على علم بخطورتها ومغبة الأمر لا سيما وهو ينتمي إلى قوم فرعون، لكنه لم يخش في الله لومة لائم، وكان متوكلاً عليه سبحانه منذ اللحظة الأولى.

١٠- نتيجة الحجاج:

قال الله تعالى: ﴿**فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ**﴾(٢).

هذا مما تميز به القرآن الكريم وهو إعلان نتيجة الحجاج بين الطرفين، وقد جاءت سريعة من خلال فاء التعقيب في "فوقاه" وربما ترسم هذه الآية ملامح الطريقين: طريق المؤمن **X** فرعون وملئه، وطريق الحق **X** الباطل، وترسم كذلك طبيعة الخاتمة من حيث قوة الحجج التي طرحها المؤمن ووهن الحجج التي تكلفها فرعون وآله، ومن دلائل هذا الوهن لجوؤهم إلى القوة والعنف لعقاب الطرف المنتصر (المؤمن) لانتصاره، وقد كان الأجدر محاولة انتصارهم في ميدان الكلمة.

وهكذا رأينا مدى جدية المعركة الحجاجية واشتعال وطيسها بين الطرفين اللذين مثَّلا الحق في مقابل الباطل، وكيف حاول كل طرف أن يستجمع من أدوات الحجاج الكلامية ما يرى فيه اتساقًا مع السياق، ويحقق في الوقت نفسه نجاعة الهدف التي تقوم في المقام الأول على دقة الاختيار بين هذه الأدوات لتصيب الهدف وهو لا شك إقناع الطرف الآخر واستمالته ليصبح في صفه ويترك ما هو عليه.

❁❁❁❁❁

---

(١) تفسير الكشاف ٣/ ٩٥٨.

(٢) سورة غافر، الآيتان [٤٥-٤٦].



الخاتمة

وقد خرجت الدراسة بعدة نتائج، أبرزها ما يلي:

١- جاء الحوار الحجاجي بين مؤمن آل فرعون من جهة وفرعون وملئه من جهة أخرى متسقًا مع السياق العام لسورة غافر الذي عالج مسألة العقيدة من خلال مشاهد الحجاج في الدنيا والآخرة.

٢- مثَّل التوازي بين موقفي موسى – عليه السلام- في مقابل فرعون وملئه، المهاد والمبرر لانبثاق تلك المحاورات بين مؤمن آل فرعون من جهة وفرعون وحاشيته من جهة أخرى.

٣- أتاح العدول عن أسلوب النهي المباشر للمخاطَب والارتكاز على الاستفهام مساحة من التفكير ليتحقق الإقناع والإفحام معًا.

٤- أسهم التوكيد في إنتاج مفهوم دلالي يهدم نظرية فرعون وقومه وتعني مجمل الأفكار والآراء والمكونات العقدية التي يعتنقونها.

٥- وظف القرآن الكريم الشرط كأداة موحية بوجود احتمالات متعددة وموهمة بانعدام ترجيح أيٍّ من الآراء من قبل المؤمن.

٦- تكرر النداء في تلك المحاورة وجاء فعلاً إنجازيًّا من قبل المؤمن يحمل وجهين للدلالة: إحداهما ينحو منحى الاستمالة والتلطف، والآخر موجه للإيحاء بالحمولة الدلالية للآخر/ فرعون وملئه، وهي في قوامها طلبية.

٧- دار تمثل الزمن بين دائرتي استحضار الماضي (التاريخ)، واستشراف المستقبل (يوم القيامة)؛ بغرض إقامة مقارنة بين الحالين: الأقوام السابقة/ قوم فرعون، وكذلك جاء بمثابة الحجج المتعاضدة التي يرمز بعضها إلى بعض.

٨- استخدم القرآن الكريم تقنية القياس بهدف المقارنة بين الحالين: حال موسى مع فرعون وقومه من جهة، وحال يوسف وأهل مصر من جهة أخرى (سلف قوم فرعون)، وذلك من خلال توظيف الشاهد/ يوسف.

٩- صنع الفعل الحجاجي "قال" امتدادًا في الملفوظ من جانب فرعون أتاح له أن يلبس على الحاضرين ويلجأ إلى إيهامهم أنه سيثبت لهم من خلال الدلائل الحسية والمشاهدات الواقعية بطلان ما جاء به موسى عليه السلام.

١٠- تغيرت استراتيجية الحجاج حسب السياق، وحسب إدراك الطرفين لمتطلبات الخطاب، وكذلك ردود الأفعال.

١١- استخدم العدول عن التعبير بالجملة الفعلية إلى التعبير بالجملة الاسمية؛ لما لها من الخصائص ما يؤهلها للتعبير عن الحقائق العامة والمبادئ القارة، ويفسر استعمالها للاحتجاج وتقديم الأدلة.

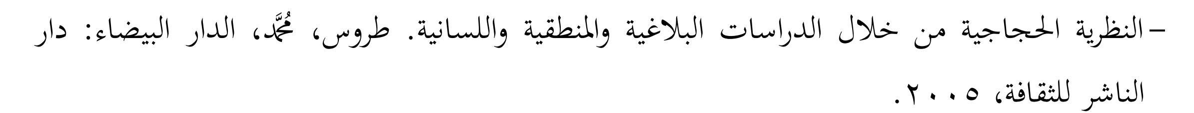
١٢- ارتكز حجاج المؤمن على أسلوب المقارنة، التي قامت على عدة أدوات فنية، مثل: صيغة الاستفهام التعجبي (ما لي) - تبادل الضمائر- صيغة (لا جرم) - لفظ (الدعوة).

❁❁❁❁❁

ثبت المصادر والمراجع

- استراتيجية الخطاب الحجاجي - دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية، دفة، بلقاسم، مجلة المخبر، (١٠)، ٢٠١٤، ٤٨٩-٥٢٤.
- البيان الحجاجي وإعجاز القرآن: سورة الأنبياء نموذجًا، عيسى، عبد الحليم، التراث العربي، ٢٠٠٦.
- التحرير والتنوير، عاشور، مُحَّد الطاهر، تونس: الدار التونسية للنشر،١٩٨٤.
- تداولية الضمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، الناجح، عز الدين، منوبة: مركز الناشر الجامعي، ٢٠١٥.
- تفسير الكشاف، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، بيروت، لبنان: دار المعرفة، ٢٠٠٩.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع،٢٠٠٢.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، شمس الدين، دار عالم الكتب، (د.ت).
- الحجاج الخَطابي أسسه وتقنياته، كحولي، مُحَّد الناصر، تونس: دار زينب للنشر والتوزيع، ٢٠١٧ .
- الحجاج في القرآن، صولة، عبد الله، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧.
- خطاب مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، العثمان، بدرية. مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط (٣٥).٢٠١٣.
- المصفار، محمود، صفاقس: شركة المنى، (د. ت). سيميائية القرآن بين الحجاج والإقناع.
- كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن مُحَّد السيد الشريف. الإسكندرية ، مصر : دار الإيمان.٢٠٠٤.
- كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، التهانوي، مُحَّد علي، (د. ت).
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَّد، ط٣، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي. ١٩٩٩.
- المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ط٤، مركز تفسير للدراسات القرآنية ١٤٣٩.
- المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، وهبة، مراد، دار قباء للطباعة، عبده غريب، ١٩٩٨.
- موقع نداء الإيمان http://www.al-eman.com القماش، عبد الرحمن بن مُحَّد، تاريخ الاسترداد ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٨.





-النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. طروس، مُحَّد، الدار البيضاء: دار الناشر للثقافة، ٢٠٠٥.

- همزة الاستفهام وخصائصها.حسن، ستار فليح. مجلة الفتح، (٢٤) ٩٠-٩٦، ٢٠٠٥م.



Bibliography

- The Strategy of Pilgrimage Discourse - A Pragmatic Study in the Arab Advertising Mission, Daffa, Belkacem, Al-Makhbar Magazine, Issue (10), 489:524. 2014.
- Al-Hajjaji's statement and the miracle of the Qur'an: Surat Al-Anbiya' as an example, Issa, Abdel Halim, Arab Heritage. 2006.
- Liberation and Enlightenment, Ashour, Muhammad Al-Taher, Tunisia: Tunisian Publishing House. 1984.
- The implicit pragmatics and arguments between verbal analysis and discourse analysis, Al-Najeh, Ezz El-Din, Manouba: Al-Nasher University Center, 2015.
- Tafsir Al-Kashshaf, Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar, Beirut, Lebanon: Dar Al-Ma'rifa. 2009.
- Taysir Al-Karim Al-Rahman fi Tafsir Kalam Al-Mannan, Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser, Riyadh: Dar Al-Salam for Publishing and Distribution. 2002.
- Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an, Al-Qurtubi, Shams Al-Din, Dar Alam Al-Kutub. (n.d.).
- Al-Hajjaj Al-Khattabi, Its Foundations and Techniques, Al-Kahuli, Muhammad Al-Nasser, Tunisia: Dar Zainab for Publishing and Distribution. 2017.
- Al-Hajjaj in the Qur'an, Sula, Abdullah, Beirut: Dar Al-Farabi. 2007.
- The speech of a believer in the family of Pharaoh in the Holy Qur'an, an analytical rhetorical study, Al-Othman, Badriya. Journal of the Faculty of Arts, Assiut University (35). 2013.
- Al-Musaffar, Mahmoud, Sfax: Al-Muna Company, The semiotics of the Qur'an between pilgrims and persuasion. (n.d.).
- The Book of Definitions, Al-Jurjani, Ali bin Muhammad Al-Sayyid Al-Sharif. Alexandria, Egypt: Dar Al-Iman. 2004.
- Kashshaf Terminology, Arts and Sciences, Al-Thanawi, Muhammad Ali. (n.d.).
- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad, 3rd edition, Beirut, Lebanon: Arab Heritage Revival House. 1999.
- Al-Mukhtasar fi Interpretation of the Noble Qur'an, A Group of Interpretation Scholars, 4th edition, Tafsir Center for Qur'anic Studies. 1439.
- Philosophical Dictionary, Madkour, Ibrahim. Cairo: Arabic Language Academy - General Authority for Princely Printing Affairs. 1983.
- Philosophical Dictionary - Dictionary of philosophical terms. Wahba, Murad, Qubaa Printing House - Abdo Gharib.1998.
- http://www.al-eman.com. Al-Qashmah, Abdul Rahman bin Muhammad, Retrieved date: 12/23/2018.
- Argumentative theory through rhetorical, logical, and linguistic studies. Tarrous, Muhammad, Casablanca: Dar Al-Nasher for Culture. 2005.
- The interrogative hamza and its characteristics. Hassan, Sattar Falih. Al-Fath Magazine. (24), 90:96. 2005.



